علو الهمة في الإصلاح

أنتَ أنت في الخير والفضل يا من تُصلح بين الناس؟!:

الإصلاح بين الناس له فضل عظيم كبير عند الله وعند الناس، وإن كان إبليس ليقول لشيطان الجن إذا فرّق بين المرء وزوجه أنت أنت! فما ظنك بمن يصلح بين الناس، ويمنع إراقة الدماء والهجر والقطيعة، أفلا يُقال له: أنت أنت؟!.

• عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن إبليسَ يضعُ عرشهُ على الماءِ، ثمَّ يبعثُ سراياهُ، فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنةً، يجيء أحدهم فيقولُ: فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صنعتَ شيئًا، ويجيء أحدهم فيقولُ: فعلتُ كذا وكذا، فيقولُ: ما صنعتَ شيئًا، ويجيء أحدهم فيقولُ: ما تركتُهُ حتى فرَّقتُ بينَه وبين أهلِه، فيُدنيه منه، ويقول: نِعْمَ أنتَ!**»[1].

من أنواع الإصلاح:

□ ورد في الإصلاح في كتاب الله في مواضع متعددة بمعانٍ متعدِّدة منها:

* قوله تعالى على لسان نبيِّ الله شُعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود]. وهُوَ هنا بمعنى الإحسان.

---

(١) رواه أحمد، ومسلم.

□ **ويأتي الإصلاح بمعنى الطاعة، وهو ضد الإفساد وهو المعصية.**

* ومنها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة].

* ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى عن لسان نبيه صالح عليه السلام: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النمل].

□ **ومنها الإصلاح في النبوة والإرادة:**

* قال تعالى: ﴿۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ

أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [البقرة].

□ ومنها إصلاح ذاتِ البيْن:

ومعنى ذاتُ البيْن: صاحبةُ البَيْنُ، والبَيْنُ في كلامِ العربِ يأتي على وَجْهيْن مُتضادَّينِ: فيأتي بمعْنَى الفِرَاقِ والفُرْقَةِ، ويأتي بمعنى الوَصْلِ.

وإصلاحُ ذَاتِ البيْنِ على المعنى الأول يكون بمعنى إصلاح صَاحِبَةِ الفُرْقةِ بين المسلمين، وإصلاحُهَا يكونُ بإِزالَةِ أسبابِ الخصامِ، أو بالتَّسامُح والعفو، أو بالتَّراضي على وجهٍ من الوجُوهِ، وبهذا الإصلاحِ يذهب البَيْنُ وتَنْحَلُّ عقدةُ الفرْقةِ. أما إصلاحُ ذاتِ البيْنِ على المعنى الثاني، فيكونُ بمعنى إصلاح صاحبةِ الوصلِ والتَّحَابُبِ والتَّآلُفِ بين المسلمين، وإصلاحُهَا يكونُ برأْبِ ما تصدَّعَ منها، وإزالَةِ الفسادِ الذي دَبَّ إليها بسببِ الخصامِ والتَّنَازُعِ على أمرْ من أُمورِ الدُّنْيَا (١).

* وقد أمر الله بإصلاح ذات البيْن فقال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ

(١) انظر: «الأضداد» للأصمعي والسجستاني وابن السكيت (٥٢)، (٣٥١- ٣٥٢) (٢٢٥)، و«الأضداد» للأنباري (٧٥).

ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ

وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنفال].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات].

والصلاح أقسام وأنواع:

□ فهناك صلح المسلم مع الكافر وله ضوابط وشروط شرعية، ليس هذا موضع ذكرها.

□ والصلح بين المسلم وأخيه المسلم.

□ والصلح بين الفئة الباغية، والعادلة.

□ والصلح بين الزوجين.

□ والصلح بين المتخاصمين، أو المتغاضبين.

□ والصلح في الجراح، كالعفو على مالٍ.

□ والصلح لقطع الخصومة إذا وقعت المخاصمة إما في الأملاك، أو في المشتركات كالشوارع. كل تلك الصور، وغيرها يجدر أن تسود في حياة المسلمين، لكي تحل المودة موضع المشاحنة، والسلام مكان الحرب، والصلح محل الخصام، والتودد محل التباغض واللين محل الشدة.

فالإسلام يدعو إلى الصلح في شتى مجالات الحياة؛ لأنه دين الأمن والأمان والسلم والسلام[١].

□ والإصلاح رسالة أنبياء الله وأعظم بها من رسالة.. فقد كان الإصلاح بين العباد من صُلْب دعوتهم.

* قال نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

□ قال أبو عبد الله القرطبي: «ما أريد إلَّا فعل الصلاح، أي أن تصلحوا دنياكم بالعدل، وآخرتكم بالعبادة».

وقال: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾؛ لأن الاستطاعة من شروط الفعل دون الإرادة، «وما» مصدرية، أي: إن أريد إلَّا الإصلاح جهدي واستطاعتي.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ﴾، أي: رشدي، والتوفيق: الرشد، أي: ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتمدت.

﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، أي: أرجع فيما ينزل بي من جميع النوائب. وقيل: إليه أرجع في الآخرة»[٢].

---

(١) «الإصلاح بين الناس» لمجدي فتحي السيد (ص٢٨) دار الصحابة -طنطا.

(٢) «تفسير القرطبي» (٩/ ٦٠).

أحاديث عطرة وردت في الإصلاح:

• عن زيد بن مِلْحَةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الدِّينَ لَيَأْرِزُ**[١] **إلى الحِجَازِ كما تَأْرِزُ الحَيَّةُ إلى جُحْرِهَا، ولَيَعْقلنَّ الدِّينُ من الحجَازِ مَعْقِلَ الأَرْوِيَّةِ**[٢] **من رَأْسَ الجبلِ. إنَّ الدِّين بَدَأَ غريبًا ويَرْجعُ غريبًا، فطُوبَى للغُرَباءِ الذينَ يُصلِحُونَ ما أفسدَ الناسُ مِنْ بَعْدي من سُنَّتِي**»[٣].

• وعن عمرو بن شعيبٍ عن أبيه عن جدِّهِ رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ كَتَبَ كِتابًا بينَ المهاجرينَ والأنصارِ على أن يَعْقِلُوا معَاقِلَهُمْ، وأَنْ يُفْدُوا عَانِيَهُمْ[٤] بالمعروفِ، والإصلاحِ بينَ المسلمينَ»[٥].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**تُفْتَحُ أبوابُ الجنَّة يومَ الاثنينِ، ويومَ الخميسِ فَيُغْفَرُ لكُلِّ عبدٍ لا يُشْرِكُ بالله شيئًا إِلَّا رجلًا كانت بينَهُ وبين أخيهِ شَحْنَاءُ**[٦] **فيقالُ: أَنظِروا هذَينِ**[٧] **حتَّى يصطَلِحَا. أنظروا هذين حتى يصطَلِحَا. أنظرُوا هذين حتَّى يَصطَلِحَا**»[٨].

---

(١) يأرز إلى الحجاز: أي: يجتمع وينضم كما تأرز الحيَّة إلى جحرها.

(٢) الأروية: هي أنثى الوعول، برؤوس الجبال وجمعها أروى.

(٣) رواه الترمذي (٢٦٣٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) عانيهم: العاني الذليل الأسير.

(٥) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢٧١) واللفظ له، (٢/ ٢٠٤)، والهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢٠٦) وأشار إلى رواية أحمد وقال: فيه الحجاج بن أرطأة وهو مدلِّس ولكنه ثقة. وقال الشيخ أحمد شاكر في «تحقيق المسند» (١١/ ١٢٥) (ح٦٩٠٤): إسناده صحيح. وأشار إلى رواية ابن عباس أيضًا عند أحمد (ح٢٤٤٣).

(٦) شحناء: عداوة وبغضاء.

(٧) انظروا: أي: أخروهما.

(٨) «مسلم» (٢٥٦٥).

• عن سلمة بن الأكوَعِ رضي الله عنه قال: قدِمْنَا الحديبيةَ مع رسول الله ﷺ ونحْنُ أربعَ عشرةَ مئةً، وعليها خمسُونَ شاةً لا تُرْوِيهَا. قال: فَقَعَدَ رسول الله ﷺ على جَبَا الركِيَّةِ[1]. فإمَّا دعا، وإمَّا بَسَقَ[2] فيها. قال: فجَاشَتْ[3]. فسقيْنَا واسْتَقَينا. قال ثم إنَّ رسول الله ﷺ دَعانَا للبيْعَةِ في أَصْلِ الشجرة قال: فبَايعْتُه أوَّلَ الناس ثُمَّ بايعَ وبايعَ حتَّى إذا كان في وسطٍ من الناسِ. قال: «**بايعْ. يا سَلَمَةُ**». قال: قلتُ قدْ بايَعْتُكَ يا رسول الله في أَوَّلِ الناسِ. قال: «**وأيضًا**» قال: ورآني رسولُ الله ﷺ عَزِلًا[4] (يعني: ليس معه سلاحٌ). قال: فأَعطاني رسولُ الله ﷺ حَجْفَة أو دَرَقَةً[5] ثُمَّ بايعَ حتَّى إذا كان في آخِرِ الناس قال: «**ألا تُبايعُني يا سلمةُ؟**». قال: قلتُ: قد بايَعْتُكَ يا رسول الله في أَوَّلِ الناسِ، وفي أَوْسَطِ الناسِ. قال: «**وأيضًا**» قال: فَبَايعْتُهُ الثالثة. ثم قال لي: «**يا سلمةُ أين حجْفَتُكَ أو درقتُكَ التي أعْطيْتُكَ؟**». قال: قلتُ: يا رسول الله لَقِيَنِي عمِّي عامرٌ عزِلًا. فأعطيْتُه إيَّاها. قال فضحِكَ رسولُ الله ﷺ وقال: «**إنَّكَ كالذي قال الأوَّلُ**[6]:

---

(١) جبا الركية: الجبا ما حول البئر. والركي البئر. والمشهور في اللغة ركي، بغير هاء. ووقع هنا الركية بالهاء.. وهي لغة حكاها الأصمعي وغيره.

(٢) وإما بسق: هكذا هو في النسخ: بسق. وهو صحيحة. يقال: برق وبصق وبسق. ثلاث لغات بمعنى. والسين قليلة الاستعمال.

(٣) فجاشت: أي ارتفعت وفاضت. يقال: ج... الشيء بجيش جيشانًا، إذا ارتفع.

(٤) عَزِلاً: ضبطوه بوجهين: أحدهما فتح العين مع كسر الزاي. والثاني ضمهما وقد فسره في الكتاب بالذي لا سلاح معه. ويقال أيضًا: أعزل، وهو الأشهر استعمالاً.

(٥) حجفة أو درقة: هما شبيهتان بالترس.

(٦) إنك كالذي قال الأول: الذي صفة لمحذوف. أي: إنك كالقول الذي قاله الأول.

=

اللهُمَّ أَبْغِنِي[(١)] **حَبِيبًا هو أَحبُّ إليَّ مِنْ نَفْسِي**». ثمَّ إنَّ المشركينَ رَاسلُونَا[(٢)] الصُّلحَ. حتَّى مشَى بعضُنَا في بعضٍ[(٣)]، واصطَلَحْنَا. قال: وكنتُ تَبِيعًا لطلْحَةَ بن عُبيدِ الله[(٤)] أسقِي فَرَسَهُ، وأَحُسُّهُ[(٥)]، وأَخْدُمُه وآكلُ من طعامِه. وتَركْتُ أهلِي ومالِيَ مُهاجرًا إلى الله ورسولِهِ ﷺ. قال فلمَّا اصْطَلَحْنَا نحنُ وأهلُ مكَّةَ، واختلطَ بعضنا ببعضٍ أَتيْتُ شجرةً فكَسحْتُ شَوكَها[(٦)] فَاضْطَجَعْتُ في أَصْلها. قال: فأتاني أربْعةٌ من المشركينَ من أهلِ مكَّةَ فجعلُوا يقعُونَ في رسولِ الله ﷺ فأبغضتُهُم فتحوَّلْتُ إلى شجرةٍ أُخرى. وعلَّقُوا سلاحَهُمْ، واضطجعُوا. فبينما هم كذلك إذْ نَادَى مُنَادٍ من أسفل الوادي: يا للمهاجرين؛ قُتِلَ ابنُ زُنَيْم. قال: فاخترطتُ سيفي[(٧)] ثم شَدَدتُ[(٨)] على أولئك الأربعةِ، وهم رُقودٌ فأخذتُ سلاحَهُمْ فجعلْتُهُ

فالأول: بالرفع فاعل. والمراد به هنا: المتقدم بالزمان. يعني: أن شأنك هذا مع عمك يشبه فحوى القول الذي قاله الرجل المتقدم بزمانه.

(١) أبغني، أي: أعطني.

(٢) راسلونا: هكذا هو في أكثر النسخ: راسلونا، من المرسلة. أي: أرسلنا إليهم وأرسلوا إلينا في أمر الصلح.

(٣) مشى بعضنا في بعض: في هنا بمعنى إلى. أي: مشي بعضنا إلى بعض. وربما كانت بمعنى مع. فيكون المعنى مشى بعضنا مع بعض.

(٤) كنت تبيعًا لطلحة، أي: خادمًا أتبع.

(٥) وأحسه، أي: أحك ظهره بالمحسة لأزيل عنه الغبار ونحوه.

(٦) فكسحت شوكها، أي: كنست ما تحتها من الشوك.

(٧) فاخترطت سيفي، أي: سللته.

(٨) شددت: حملت وكررت.

ضِغْثًا[١] في يدي. قال: ثم قلتُ: والذي كرَّمَ وجْهَ محمَّدٍ لا يرفعُ أحدٌ منكم رأسُه إلاَّ ضربْتُ الذي فيه عَيْنَاهُ [٢]. قال: ثمَّ جئتُ بهم أسوقُهُمْ إلى رسولِ الله ﷺ. قال: وجاءَ عمِّي عامرٌ برجُلٍ من العبلاتِ[٣] يقالُ له مِكْرَزٌ يقودُهُ إلى رسول الله ﷺ على فرسٍ مُجَفَّفٍ[٤]. في سبعين من المشركين. فنظر إليهم رسولُ الله ﷺ فقال: «**دعوهم يكُنْ لهم بَدْءُ الفُجُورِ وَثِنَاهُ**»[٥]. فعفا عنهم رسولُ الله ﷺ. وأنزلَ اللهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]..الحديث»[٦].

• عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قيل للنبيِّ ﷺ: لو أتيْتَ عبد الله بن أُبيٍّ. فانطلَق إليه النبيُّ ﷺ وركبَ حمارًا فانطلق المسلمون يمشُونَ معهُ — وهي أرضٌ سَبِخَةٌ — فلمَّا أتاهُ النبيُّ قال: إليك عنِّي. والله لقد آذاني نَتْنُ حمارِكَ. فقال

---

(١) ضغثًا: الضغث الحزمة . يريد أنه أخذ سلاحهم وجمع بعضه إلى بعض حتى جعله في يده حزمة. قال في المصباح: الأصل في الضغث أن يكون له قضبان يجمعها أصل واحد، ثم كثر حتى استعمل فيما يجمع.

(٢) الذي فيه عيناه: يريد رأسه.

(٣) العبلات: قال الجوهري في «الصحاح»: العبلات من قريش، وهم أمية الصغرى. والنسبة إليهم عَبَلِيٌّ. ترده إلى الواحد.

(٤) مجفف: أي: عليه تجفاف. وهو ثوب كالجل يلبسه الفرس ليقيه السلاح، وجمعه: تجافيف.

(٥) يكن لهم بدء الفجور وثناه: البدء هو الابتداء. وإما ثِنَاهُ فمعناه عودة ثانية. قال في «النهاية»: أي أوله وآخره والثني الأمر يعاد مرتين.

(٦) رواه مسلم (١٨٠٧).

رجلٌ من الأنصارِ منهم: والله لحمارُ رسولِ الله ﷺ أَطْيَبُ ريحًا مِنْكَ فغضب لعبد الله رجُلٌ من قومِهِ فَشَتَمَا[١] فغَضِبَ لكُلِّ واحدٍ منهما أصحابُه، فكان بينهُمَا ضَرْبٌ بالجَرِيدِ والأيدِي والنِّعَالِ. فبلغنا أنها أُنْزِلتْ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩][٢].

• عن أمِّ كلثومٍ بنت عقبة بن أبي مُعيطٍ - وكانت من المهاجراتِ الأُوَلِ اللاتي بايعنَ النبيَّ ﷺ أخبرتْهُ أنها سمعتْ رسول الله ﷺ وهو يقولُ: «**ليسَ الكذَّابُ الذي يُصْلِحُ بين النَّاسِ، ويقولُ خيرًا وينْمِي[٣] خيرًا[٤]**».

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: «**اشتَرَى رجلٌ من رجُلٍ عقارًا له. فوجدَ الرَّجلُ الذي اشتَرَى العقارَ في عقارِهِ جَرَّةً فيها ذهبٌ. فقال لهُ الذي اشتَرَى العقَارَ: خُذْ ذهبكَ منِّي. إنما اشترَيْتُ منكَ الأرضَ، ولم أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهبَ. فقال الذي**

---

(١) فشتما: هكذا في «الفتح»، وعبارة البخاري (طبعة البغا): فشتمه.

(٢) البخاري «الفتح» (٢٦٩١)، واللفظ له. ومسلم (١٧٩٩) وليس عند مسلم قوله: «فشتما».

(٣) ينمي: بدون تشديد بمعنى نقل ما فيه خير وإصلاح وبالتشديد الإفساد.

(٤) رواه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥) واللفظ له. وأبو داود (٤٩٢٠)، والترمذي (٢٠٠٤)، وأحمد (٦/ ٤٠٣، ٤٠٤). والطيالسي (١٦٥٦)، وابن حبان (٧/ ٤٩٤).

شَرَى [١] الأرضَ: إنَّمَا بعْتُكَ الأرضَ وما فيها. قال: فتحَاكَمَا إلى رجلٍ فقال الذي تحاكَمَا إليه: ألَكُمَا ولدٌ؟ فقال أحدُهما: لي غُلامٌ. وقال الآخرُ: لي جاريةٌ. قال: أنكِحُوا الغُلامَ الجاريةَ. وأنفِقُوا على أنفُسِكُمَا مِنْهُ وتصدَّقَا» [٢].

• عن سهلِ بن سعيدٍ رضي الله عنه أن ناسًا من بني عمرو بن عوفٍ كان بينهم شيءٌ فخرجَ إليهم النبيُّ ﷺ في أُناسٍ من أصحابه يُصْلِحُ بينهم، فحضرت الصلاةُ، ولم يأتِ النبيُّ ﷺ. فأذَّنَ بلالٌ بالصلاةِ، ولم يأت النبيُّ ﷺ. فجاءَ إلى أبي بكرٍ فقال: إن النبي ﷺ حُبِسَ، وقد حَضَرتِ الصَّلاةُ، فهل لك أن تَؤُمَّ النَّاسَ؟ فقال: نَعَمْ، إن شِئْتَ. فأقَامَ الصَّلاةَ فتقدَّمَ أبو بكرٍ، ثُمَّ جاءَ النبيُّ ﷺ يَمْشِي في الصُّفُوفِ حتَّى قَام في الصَّفِّ الأوَّلِ، فأخذَ الناسُ في التَّصْفِيحِ [٣] حتَّى أكْثَروا – وكان أبو بكرٍ لا يكادُ يَلْتَفِتُ في الصَّلاةِ – فالتَفت، فإذا هَوَ بالنبيِّ ﷺ وراءَهُ، فَأَشَارَ إليه بيدِهِ، فأمرَهُ أن يُصلِّي كما هو، فرفعَ أبو بكرٍ يده فحمدَ الله ثُمَّ رجعَ القهْقَري وراءَهُ حتَّى دخل في الصَّفِّ فتقدَّمَ النبيُّ ﷺ فصلَّى بالنَّاسِ. فلمَّا فرغَ أقبلَ على الناس فقال: **«يا أيها الناسُ، إذا نَابَكُمْ شيءٌ في الصَّفِّ، في صلاتِكُمْ أخذتُم بالتَّصْفِيح، إنَّما التَّصفِيحُ للنِّساءِ، من نابَهُ شيءٌ في صلاته فلْيَقُلْ سبحانَ الله، فإنَّهُ لا يسمعُهُ أحدٌ إلاَّ التفتَ. يا أبا بكرٍ، ما منعك حِينَ أشرْتُ إليك لم تُصلِّ**

---

(١) شرى: باع.

(٢) رواه مسلم (١٧٢١).

(٣) التصفيح: قال النووي: التصفيح أن تضرب المرأة كفّها الأيمن ظهر كفِّها الأيسر، وقد يحدثُ من الرجال كما هنا.

بالنَّاسِ؟» . فقال: ما كان ينبغي لابن أبي قحافَة أن يُصلِّي بين يدي النبيِّ ﷺ»(١).

• عن كعبِ بن مالكٍ أنه تقاضي ابنَ أبي حَدْرَدٍ دينًا كان له عليه في عهد رسولِ الله ﷺ في المسجدِ فارتَفَعتْ أصواتُهُا حتَّى سمعها رسولُ الله ﷺ وهو في بيتِهِ فخرجَ رسولُ الله ﷺ إليهما حتَّى كشفَ سِجْفَ حجرتِه فنَادى كعب بن مالكٍ، فقال: «**يا كَعبُ**». فقال: لبيْكَ يا رسول الله، فأشارَ بيده أنْ ضع الشطْرَ. فقال كعبٌ: قد فعلتُ يا رسول الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «**قُمْ فَاقْضِهْ**»(٢).

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسولُ الله ﷺ صوتَ خُصُومٍ بالباب عاليةٍ أصواتُهم، وإذا أحدُهُما يستوضِعُ الآخرَ ويسترفقُهُ في شيءٍ وهو يقولُ: والله لا أفعلُ فخرج عليهما رسولُ الله ﷺ فقال: «**أينَ المُتَأَلِّي على الله لا يفعلُ المعرُوفَ؟**» فقال: أنا يا رسولَ الله، فَلهُ أيُّ ذلك أحبَّ(٣).

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: تُوفِّيَ أبي وعليه دينٌ فعرضتُ على غُرمائهِ أن يأخُذُوا التَّمْرَ بما عليه فأبْوا، ولم يروْا أنَّ فيه وفاءً فأتيْتُ النبيَّ ﷺ فذكرتُ ذلك له فقال: «إذا جددتَهُ فوضَعْتَهُ في المربدِ آذنتَ رسول الله ﷺ. فجاء ومعهُ أبو بكرٍ وعمرُ فجلس عليه دعا بالبرَكَة ثمَّ قال: «**ادْعُ**

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٠) واللفظ له، ومسلم (٤٢١).

(٢) رواه البخاري (٢٧١٠).

(٣) رواه البخاري (٢٧٠٥) ومسلم (١٥٥٧)، والبيهقي في «سننه» (٥/ ٣٠٥) (ومعنى أي ذلك أحب): أي من الوضع أو الرِّفق.

غُرَمَاءَكَ فَأَوْفِهِم»(١). فما تركتُ أحدًا له على أبي دينٌ إلَّا قضيتُهُ، وفضل ثلاثة عشر وسْقًا: سبعةٌ عجوةٌ وستَّةٌ لَوْنٌ (٢)، أو سِتَّةٌ عجْوةٌ وسبعةٌ لونٌ.فوَافَيْتُ مع رسول الله ﷺ المغربَ فذكرتُ ذلك له فضحك فقال: «ائْتِ أبا بكرٍ وعمر فأخبرهُمُا»، فقالا: لقد علمْنَا ـ إذا صَنَعَ رسولُ الله ﷺ ما صنعَ ـ أن سيكون ذلك»(٣).

• وعن سهلِ بن سعدٍ ﷺ أنَّ أهل قُبَاءَ اقتتلوا حتَّي ترامَوْا بالحجارةِ فأخبرَ رسولُ الله ﷺ بذلك، فقال: «**اذْهَبُوا بنا نُصلحْ بيْنَهُمْ**»(٤).

• عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصدقة، والصلاة؟**». قلنا: بلى يا رسول الله. قال ﷺ: «**إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين، هي الحالقة**»(٥).

و«إصلاح ذات البين». أي: ما بينكم من الأحوال يسودها الألفة والوئام، والمودة والمحبة.

---

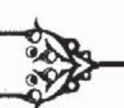
(١) فأَوْفهم: أي أعطهم وأوسع عليهم.

(٢) اللون: ما عدا العجوة وقيل: هو الدقل وهو الرَّدِيء.

(٣) رواه البخاري (٢٧٠٩).

(٤) رواه البخاري (٢٦٩٣).

(٥) صحيح: أخرجه أحمد، وأبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٦٢٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٩١)، وابن حبّان (١٩٨٢)، والبغوي (٣٥٣٨) في شرح السُّنَّة، وفيه عنعنة الأعمش، وهو مدلِّس، وله شاهد من حديث الزبير، أخرجه الترمذي (٢٦٢٨) وسنده ضعيف، ومن حديث أبي هريرة أخرجه الترمذي (٢٦٢٦) وسنده حسن في الشواهد. وصححه الألباني في «تحقيق المشكاة» (٥٠٣٨)، و«غاية المرام» (٤١٤)، و«صحيح الجامع» (٢٥٩٥).



والمراد بذات البين المخاصمة، والمهاجرة بين اثنين، بحيث يحصل بينهما بينٌ، أي فرقة والبين من الأضداد الوصل والفرق.

«**وفساد ذات البين الحالقة**»، أي: هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق الدين وتستأصله كما يستأصل الموسى الشعر.

«**أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة**»، المراد بهذه المذكورات النوافل دون الفرائض.

□ قال القاري: «والله أعلم بالمراد إذ قد يتصور أن يكون الإصلاح في فساد يتفرع عليه سفك الدماء، ونهب الأموال، وهتك الحرم أفضل من فرائض هذه العبادات القاصرة مع إمكان قضائها على فرض تركها فهي من حقوق الله التي هي أهون عنده سبحانه من حقوق العباد.

فإذا كان كذلك فيصح أن يقال هذا الجنس من العمل أفضل من هذا الجنس لكون بعض أفراده أفضل كالبشر خير من الملك، والرجل خير من المرأة»(١).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ما عَمِلَ ابنُ آدمَ شيئًا أفْضَلَ من الصلاة، وصلاح ذات البيْن، وخُلُقٍ حسن**»(٢).

• وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أفضل الصدقة صلاحُ ذات البين**»(٣).

---

(١) «الإصلاح بين الناس» (ص١٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/١/٦٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٠٩١)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٥٤)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٤٤٨)، و«صحيح الجامع» (٥٦٤٥).

(٣) حديث حسن: أخرجه البخاري في «تاريخه» (٣/ ٢٩٥)، والبيهقي في «الشعب» =

الصُّلْحُ بين الغرماء:

«الغرماء جمع غريم، وهمُ أصحابُ الدَّيْن، والغريم: الذي له الدَّيْن، والذي عليه الدْين جميعًا.

وعندما نتأمل السيرة النبوية، نجد أن رسول الله ﷺ قد حرص على الإصلاح بين الغرماء، فهو نوعٌ من الإصلاح بين الناس.

فيحدثنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه فيقول: توفي أبي وعليه دينٌ، وليس عندي إلَّا ما يخرج نخله، فعرضتُ على الغرماء أن يأخذوا التمر بما عليه فأبوا، ولم يروا أن فيه وفاء، ولا يبلغ ما يُخرجُ سنين ما عليه.

فأتيتُ النبي ﷺ فذكرتُ ذلك له، وقلت: انطلق معي لكي لا يفحش عليَّ الغرماء، فقال: «إذا جددته فوضعته في المِرْبَدِ آذنت رسول الله ﷺ». فجاء ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فمشى حول بيدر من بيدر التمر فجلس عليه، ودعا بالبركة، ثم آخر، ثم قال: «ادع غُرماءك فأوفهم الذي لهم».

فما تركتُ أحدًا له على أبي دينٌ إلَّا قضيته، وفضل ثلاثة عشر وسقًا، وسبعٌ عجوة وستةٌ لونٌ، فوافيتُ مع رسول الله ﷺ المغرب فذكرت ذلك له، فضحك، وقال: «**ائت أبا بكر وعمر فأخبرهما**»[1].

فقالا: لقد علمنا إذ صنع رسول الله ﷺ ما صنع أن سيكون ذلك».

(١١٠٩٢)، والطبراني في «الكبير»، كما في «المجمع» (٨/ ٨٠).

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٩)، (٣٥٨٠) والنسائي (٦/ ٢٤٦)، وأحمد (٣/ ٣٩٨)، وابن حبان (٢١٥٢)، والبيهقي في «سننه الكبرى» (٥/ ٣٥٧).

عُلُوّ همة سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا الحسين بن علي رضي الله عنهما في الصلح بين فئتيْن عظيمتيْن من المسلمين وهو أعظم صلح في الإسلام:

من دلائل النبوة، وعلامات صدق الرسالة، تنبأ النبي ﷺ بأعظم صلحٍ تم في الإسلام، وكان ذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

فقد حدثت المحنة بين المسلمين بعد وفاة النبي الأمين ﷺ وتصاعدت الفتنة بعد مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وبايع أهل العراق الحسن بن علي رضي الله عنه بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠هـ، وألحوا عليه المسير إلى ديار الشام لمحاربة معاوية رضي الله عنه وأتباعه.

وبالفعل سار جيش الحسن بن علي رضي الله عنهما إلى الشام، فلما علم معاوية رضي الله عنه بمسيرة أرسل جيشه، والتقى الجيشان في موضع يقال: «مسكن». بناحية الأنبار، ولم يبق إلَّا الالتحام، فنظر الحسن بن علي رضي الله عنهما، وهاله وأفزعه أن يقتتل المسلمون في تلك الأعداد الكبيرة، فشرح الله صدره للصلح، وقد كان.

فقد كتب الحسن إلى معاوية يشترط شروطًا للصلح، ورضي بها معاوية، وخلع الحسن نفسه من الخلافة، وسلم الأمر لمعاوية في بيت المقدس، سنة ٤١هـ، وسُمِّي هذا العام «عام الجماعة» لاجتماع كلمة المسلمين، وكان ذلك أعظم صُلِح في الإسلام، فبه حُقِنت دماء الأمة الإسلامية»[١].

□ عن أبي موسى قال: سمعت الحسن البصري يقول: «استقبل والله

(١) «الإصلاح بين الناس» (ص٣٢).

الحسنُ بن علي معاوية بكتائبَ أمثالِ الجبالِ، فقال عمرو ابن العاص ﵁: إني لأرى كتائب لا تُوَلِّي حتى تقتُل أقرانها».

فقال له معاوية ﵁ -وكان والله خير الرجلين- أيْ عمرو، إنْ قَتَلَ هؤلاءِ هؤلاءِ، وهؤلاءِ هؤلاءِ مَنْ لي بَأمور الناس، مَنْ لي بنسائهم، من لي بَضَيْعَتِهم؟!.

فبعث إليه رجلين من قريشٍ، عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له، واطلبا إليه.

فأتياه، فدخلا عليه فتكلما، وقالا له، وطلبًا إليه، فقال لهما الحسن ابن علي ﵄: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها.

قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك، ويسألك. قال: فمن لي بهذا؟

قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئًا إلَّا قالا: نحن لك به. فصالحه.

فقال الحسن ﵁: ولقد سمعتُ أبا أبا بكر يقول: رأيتُ رسول الله ﷺ على المنبر -والحسن بن علي إلى جنبه- وهو يُقبلُ علي الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: «**إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[1].

والسيد الذي لا يغلبه غضبه، وقيل: الذي يفوق قومه في الخير.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤)، وأبو داود (٤٦٦٢)، والترمذي (٣٧٧٥)، والنسائي (٣/ ١٠٧)، وأحمد (٥/ ٣٨)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٩٦) في «مصنفه».

وهكذا أصلح الله بين أهل العراق، وأهل الشام، وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما سباقًا إلى هذا الصلح العظيم، فرضي الله عنه، أرضاه.

وهذا يدل على كمال سؤدد السيد الحسن بن علي رضي الله عنهما.

جواز الكذب للصلح بين الناس، وَحِلُّ المسألة للصلح بين الناس:

مع أن الكذب كبيرة من الكبائر وإثم عظيم يتنزَّه عن الوقوع فيه من خاف الله واليوم الآخر فقد أباحه الشرع من أجل الإصلاح بين الناس؛ وذلك لِعظَمِ الصُّلْحِ بين الناس.

• فعن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا أعُدُّه كاذبًا: الرجلُ يُصلِحُ بين الناس، يقولُ القولَ لا يُريد به إلَّا الإصلاحَ، والرَّجُل يقولُ في الحَرْبِ، والرَّجُل يُحدِّثُ امرأتَهُ، والمرأة تُحدِّث زوجها**»[1].

□ عن ابن أبي عزرة الدؤلي، وكان في خلافة عمر يخلعُ النساء التي يتزوجها، فطار له في الناس من ذلك أحدوثة، وكان عنده امرأة فكرهها.

فقام بعبد الله بن الأرقم حتى أدخله بيته، فقال لامرأته، وابن الأرقم يسمع: أنشدك بالله هل تبغضيني؟ فقالت امرأته: لا تناشدني. قال: بلى. فقالت: اللهم نعم.

فقال ابن أبي عزرة لعبد الله: أتسمُع، ثم انطلق حتى أتى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، يحدثون أني أَظلم النساء، وأخلعهن، فاسأل عبد الله بن

(١) رواه مسلم (١٦/ ١٥٧)، وأبو داود (٤٩٢١)، وأحمد (٦/ ٤٠٤)، والخرائطي (١٨١) و(١٨٢) في «المساوئ».

الأرقم عما سمع من امرأتي.

فسأل عمُر عبد الله فأخبره، فأرسل عمر إلى امرأته فجاءت، فقال لها: أنتِ التي تحدثين زوجك أنك تبغضينه؟!

قالت: يا أمير المؤمنين، إني أول مَنْ تاب، وراجع أمر الله، إنه يا أمير المؤمنين أنشدني بالله فتحرجت أن أكذب، أفأكذب يا أمير المؤمنين؟! قال: نعم فاكذبي، فإن كانت إحداكن لا تحب أحدًا فلا تحدثه بذلك، فإن أقل البيوت التي يُبنى على الحُبِّ، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام، والإحسان[1].

□ قال سفيان بن عيينة: «لو أنَّ رجُلًا اعتذر إلى رجلٍ، فحرَّف الكلام وحَسَّنه ليرضيه بذلك، ولم يكن كاذبًا يتأوَّل الحديث: «ليس بالكاذب من أصلح بين الناس». فإصلاحه ما بينه وبين صاحبه أفضل من إصلاحه ما بين الناس»[2].

□ وحرّم الشارع سؤال الناس إلّا صاحب الحمالة، «وهو أن يكون بين القوم تشاحن في دمٍ، أوْ مالٍ، فَسَعَى رجلٌ في إصلاح ذات بينهم، وضمِن مالًا في تسكين تلك العداوة الكائنة بين القوم، فإنه يحل له السؤال، ويُعْطَي من الصدقة قدر ما تبرأ ذمَّته عن الضمان، وإن كان غنيًّا»[3].

• عن قبيْصة بن المخارق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: **«إن المسألة لا تحل إلّا**

---

(١) خبر حسن: أخرجه الخرائطي (١٨٤) في «المساويء»، والبغوي في «شرح السُّنّة» (١٣/ ١٢٠).

(٢) «الإصلاح بين الناس» (ص٣٨، ٣٩).

(٣) «شرح السنة» للبغوي (٦/ ١٢٦).

لثلاثة: رجلٌ تحمَّلَ بحمالةٍ[(١)] بين قومٍ، ورجلٌ أصابته جائحة[(٢)]، فاجتاحت ماله، فيسأل حتى يُصيب سدادًا[(٣)] من عيشٍ، ورجلٌ أصابته فاقة[(٤)] حتى يشهد له ثلاثة من ذوي الحجى[(٥)] من قومه أن قد أصابته حاجة، وأن قد حلت له المسألة، وما سوى ذلك من المسائل سُحْتٌ[(٦)]»[(٧)].

والشاهد من هذا حضُّ الشرع للمصلحين على المسارعة إلى الإصلاح بين الناس حتى لو تطلَّب الأمر أن يتكفوا بدية أوْ ديْن[(٨)].

• يُوضح ذلك أن رَجُلًا جاء إلى النبي ﷺ: فقال: يا رسول الله، إنا قومٌ نتساءل أموالنا بيننا؟ فقال ﷺ: «نعم، يسأل الرجل في الفتق يكون بينه وبين قومه، والجائحة، فإذا استغنى أو كرب استعف»[(٩)].

فللمصلح الذي توسط بين الناس للإصلاح له أن يسأل بيت المال أن يعينه على ما تكفله، وتحمله لما قام به من عملٍ شريف، وسعي مشكور[(١٠)].

---

(١) تحمل بحمالة: أي: تكفّل بكفالة والحميل: الكفيل: أي: يتكفَّل بديْن أوْ دِية عن غيره.

(٢) الجائحة: الآفة تصيب مال الإنسان.

(٣) «السِّداد: بسكر السين، ما يسدُ حاجة المعوز ويكفيه، وكل شيء سددتَ به خللا.

(٤) فاقة: فقر.

(٥) الحِجي: العقل.

(٦) السُّحت: الحرام والباطل.

(٧) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٧)، ومسلم (١٠٤٤)، وأبو داود (١٦٤٠)، والنسائي (٥/ ٨٩)، والطيالسي (٨٣٤)، والدارمي (١/ ٣٩٦)، وابن خزيمة (٢٣٥٩).

(٨) «شرح السنة» (٦/ ١٢٦).

(٩) صحيح: أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠١٨)، وأحمد (٥/ ٥)، والبغوي في «شرح السُّنَّة» (١٦٢٧)، (١٦٢٨).

(١٠) «الإصلاح بين الناس» (ص٤٢).

أخي:

• عن حدود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن هَجَر أخاهُ سَنَةً، فهُوَ كَسَفْكِ دَمِه**»(١).

فما ظنك بمن قاتله، فما ظنك بمن أصلح بينهما!!!

□ قال أبو الحسن المدائني: «جرى بين الحسن بن علي، وأخيه الحسين رضي الله عنهم كلامٌ حتى تهاجرا، فلما أتى على الحسن ثلاثة أيام من هجر أخيه، فأقبل إلى الحسين، وهو جالسٌ فأحبَّ على رأسه فقبَّله.

فلما جلس الحسنُ قال له الحسن رضي الله عنهما: إن الذي منعني من ابتدائك، والقيام إليك أنك أحقُّ بالفضل مني، فكرهتُ أن أنازعك ما أنت أحقُّ به»(٢).

* قال الله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى].

□ وقال الأوزاعي: «ما خطوة أحبُّ إلى الله عز وجل من خطوة في إصلاح ذات البيْن، ومَن أصلح بين اثنيْن كتب الله له براءة من النار»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٣٢٠)، وأبو داود (٤٨٩٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٠٤)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٥٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٦٣)، وصحَّحه، وأقرَّه الذهبي، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٨)، و«صحيح الجامع» (٦٥٨١).

(٢) انظر: «المساوئ» للخرائطي (٥٦٤).

(٣) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٤٦- ٢٤٧).

□ قال ابنُ بابَويْه: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ أحبَّ الكذبَ في الإصلاحَ، وأَبْغَضَ الصِّدق في الفساد».

□ وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فالصُّلح الجائزُ بين المسلمين هو الذي يَعْتِمدُ فيه رضا الله سبحانه ورِضَا الخَصْمَيْن، فهو أعدلُ الصُّلح وأَحَقُّهُ، وهو يعتمدُ العلمَ والعَدْلَ، فيكون المُصْلِحُ عالمًا بالوقائِع، عارِفًا بالواجب، قاصدًا للعدل، فدرجةُ هذا أفضلُ من درجة الصائم القائم»(١).

□ وعن عبد الله بن حبيبِ بن أبي ثابتٍ قال: «كنت جالسًا مع محُمدِ ابن كعبٍ القُرظيِّ، فأَتَاهُ رجلٌ فقال لهُ القومُ: أين كنت؟ فقال: أصلحْتُ بين قوم، فقال محمدُ بنُ كعبٍ: أصبْتَ. لك مِثلُ أَجْرِ المجاهدين، ثمَّ قرأ: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ .. ﴾ [النساء: ١١٤](٢).

□ قال العلماء: «لا تخلُو الفئَتانِ من المسلمين في اقتتالها، إمَّا أَنْ يقْتَتلا على سبيلِ البَغْيِ منهما جميعًا أوْ لا، فإِنْ كان الأَوَّلُ؛ فالواجِبُ في ذلك أن يُمْشَي بينهما بما يُصلحُ ذات البَيْنِ، ويُثْمِرُ المُكَافَّةَ والموادَعَةَ. فإِنْ لم يتحاجَزَا ولم يصطلحَا وأقامتا على البَغْي صِيرَ إلى مُقاتلتهما، وأمَّا إنْ كان الثَّاني وهو أَنْ تكُونَ إحداهُمَا باغيةً على الأُخرى، فالواجِبُ أَنْ تَقَاتَل فئةُ البَغْي إلى أنْ تَكُفَّ وتَتُوبَ؛ فإِنْ فعلتْ أُصْلِحَ بينها وبين المَبْغيِّ عليها بالقسطِ والعدْلِ، فإن التحم القتالُ بينهما لشُبهةٍ دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقَّةٌ، فالواجبُ إزالةُ الشُّبهةِ بالحجَّةِ النَّيرة والبراهين القاطعة على مراشدِ الحقِّ.

---

(١) «أعلام الموقعين» (١/ ١٠٩- ١١٠).

(٢) «إعلام الموقعين» (٢/ ٦٨٥).

فإنْ ركبتا متنَ اللِّجَاجِ ولم تعملا على شاكِلَةِ ما هُديتَا إليه ونُصِحَتَا بهِ من اتِّباعِ الحقِّ بعدَ وضُوحِهِ لهُمَا فقد لحِقتَا بالفئَتَينِ الباغيتين»(١).

□ قال الطبري عند قوله تعالى: ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، «هو الإصلاحُ بين المُتباينين أو المختصمين بما أباحَ اللهُ الإصلاحَ بينهما ليرجِعا إلى ما فيه الأُلفةُ واجتماعُ الكلمةِ على ما أذنَ الله وأمرَ به»(٢).

□ قال الفُضيلُ: «إذا أتاكَ رجلٌ يشكُو إليكَ رجُلًا فقُل يا أخي اعفُ عنه فإنَّ العَفْوَ أَقْرَبُ للتَّقوى، فإن قال: لا يحتملُ قلبي العفو ولكن أنتصرُ كما أمرني اللهُ ﷻ قل: فإنْ كُنتَ تُحسِنُ تنتصِرُ مثلًا بمثلٍ وإلَّا فارجعْ إلى بابِ العفو فإنَّهُ بابٌ أوسعُ؛ فإنَّهُ من عفا وأصلح فأجْرُهُ على الله، وصاحبُ العفو ينامُ الليل على فراشِهِ، وصاحبُ الانتصارِ يُقلِّبُ الأُمُورَ»(٣).

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٢٠٨).

(٢) «تفسير الطبري» (٤/ ٢٧٦).

(٣) «حلية الأولياء» (٥/ ١١٢).